اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 11-01-2009 | رقم العـدد: 16699 | رقم الصفحة: 10 | مسلسـل: 73 | رقم القصاصة: 1

(٢-٥)

أيُّها الحداثيون قفوا ومَن يرد «الغرب» فليذهب له

محمود سفر: كلنا سلفيون ولا نريد أن نتحوّل لـ"علمانيين"

حوار

فهد الشريف – تصوير: محمد باعجاجة

مفكر، أستاذ أكاديمي، رجل دولة، وغيرها.. من الصفات التي يمكن أن نصفها ضيفنا في هذه الحلقات. فقد برز اسمه في كل حقل انتمى إليه، ولمع نجمه في كل هذه الحقول الفكرية والوظيفية. وعلى الرغم من تلك الاهتمامات والتجارب الإنسانية، غير أنه يتفرّد بشخصية مستقلة تعبّر عن ذاتها وخصوصيتها الثقافية.

إنه الدكتور محمود سفر أحد الأكاديميين الذين عُرفوا بمنهجه العلمي الصارم. وتجربته التعليمية الطويلة في هذا الحقل أستاذًا جامعيًّا يتطلّع لرؤى جديدة في ميدان البحث العلمي، ثم مسؤولاً في التعليم إيمَان عمله وكيلاً لوزارة التعليم العالي، كما أنه تولى إدارة إحدى الجامعات الخليجية (جامعة الخليج) مؤسسًا ورائدًا لهذه التجربة الفريدة.

وهو رجل الدولة الواعي للسياسات الداخلية والخارجية، ولمنظومة العمل المؤسساتي فقد تولّى وزارة الحج، وهو في هذه التجربة الوزارية يكرر ريادة جديدة، حيث يعود من جديد لممارسة الأولويات. لقد كان أول زير للحج حين أصبحت وزارة مستقلة عن وزارة الشؤون الإسلامية، وغيرها من المهام والوظائف، واللجان الاستشارية والإدارية في مجالس مؤسسات الدولة، أو مؤسسات المجتمع المدني.. كل هذه التجارب صنعت منه إنسانًا، سكنت وجدانه قضايا الأمة العربية والإسلامية، فأخذ يتحاور مع تلك القضايا منطلقًا من رؤى فكرية مستقلة، كما أنه أهتم بقضايا الوطن والمواطن، فكان صوتًا وطنيًا صادقًا.

لقد كان الدكتور محمود سفر مع موعد دائم مع المشروعات الكبيرة؛ ممّا جعله يتصدّى لمثل هذه التجارب، بل نقول المغامرات.

××× وفي هذه الحلقة يدخل ضيفنا في منطقة الصراع الفكري بين تيارات مختلفة في الرؤى والأفكار، غير أنه يتخذ لنفسه موقفًا فكريا معتدلا لايخلو من الصرامة في الوضوح.

لقد انتقد موقف الحداثيين الذين ينحازون تجاه الفكر الغربي ويعيشون في تبعية وفكر مستلب كما أنه أخذ على بعض الدعاة أو المفكرين الذين اختاروا العزلة الفكرية، وأغلقوا نوافذهم عن الآخر، وعدم الإطلالة على إنتاجه.

اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 11-01-2009 رقم العـدد: 16699 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 73 رقم القصاصة: 2

× فيما يخص الاتهامات المتبادلة في الخطاب الديني.. نجد هناك من يرى أن التطرف يرجع إلى السلفية وآخر يراه في الوسطية والاخوان المسلمون وفريق آخر يرجعه للجهاديين أو التكفيريين، ما هو موقفك من هذه الآراء والاتهامات المتبادلة، ودعنا نتحدث بشفافية عن هذا الأمر؟

– أنا لا تهمني التقسيمات التي ذكرتها وكإنسان مسلم عربي ازعم أنني –إن شاء الله– معتدلا ووسطيا بكل ما تعنيه الكلمة على مستوى كتاباتي أو محاضراتي أو تدريسي.. الأصل في الأشياء هو الاعتدال في الإسلام بصرف النظر عن انتماءاتك السياسية أو الإيدولوجية سلفية أو أخوانية.. الخ، هذه تفريعات من البشر، لكن جوهر القضية أن الإسلام دين تسامح واعتدال ووسطية.. أما أن تكون بهذه الصفة أو تصنف نفسك بأي شكل آخر، وكون بعض الناس يتهمون السلفية "وإذا نظرت إلى جوهر القضية" فكلنا سلفيون ودعنا ننظر إلى معنى السلفية وهو العودة إلى الأصول ولا يوجد بيننا من ينكر تلك العودة لكنها يجب أن تكون بفكر منفتح يتطلع إلى كيفية تعامل العالم من حوله ويجب ألا يكون بفكر منغلق، ويظن أننا نعيد بناء الدولة الإسلامية الأولى التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة والعودة للخلافة الراشدة.. هذه القضايا تخطاها الزمن كثيراً ويجب علينا الأخذ من تراثنا وما تركه لنا الأوائل بما يتماشى مع واقعنا وحياتنا وأسلوب تعاملنا نحن كبشر، ولسنا منعزلين ولا نريد أن نكون كذلك، وكأمة وشعب ودولة لا يمكن أن ننعزل فالوسطية والاعتدال هما الأساس. وأنا لا افهم الإسلام بأمور وتنظيرات بعض المفكرين المنكفئين وبعض التكفيريين والذين لهم ايدولوجية سياسية وهنا أنا لا انظر بل أقول ببساطة وتجرد وعفوية ان الإسلام دين وسطي معتدل، أما أن تأخذه بهذه الصفة أو سوف تصاب بالخسارة ولن تستطيع أن تعيش، ولم يشاد الدين احد إلا غلبه بحسب ما ورد في حديث للرسول الكريم بهذا المعنى فادخل فيه برفق لأنه متسامح يتسم بنوع من الفكر الوسطي يتيح لك التعامل مع الآخرين أن تفرط في الثوابت، وما عرف من الدين بالضرورة وتملك بعد ذلك حق الاجتهاد بشروط وهي المحصلة الدينية والعقدية والعلم الشرعي الذي يمكنك من الاجتهاد والفتوى.

× لقد صار الاجتهاد مفتوحا لكل من أراد أن يتحدث في أمور الدين، ما رأيك؟

– الباب ليس مشرعاً لكل إنسان ليفتي ويجتهد وهو لا يملك المؤهلات ولكن يمكنك الاجتهاد في تخصصك (اقتصاد هندسة طب.. الخ) لكن عندما تأتي للدين لابد أن يفتى فيه المتخصص، ونطالب المتخصصين منا في الدين أن يكونوا أكثر انفتاحاً على الواقع، ومشكلتنا العظمى من أنفسنا في اتهامنا بأننا سلفيون.. وللأسف فإن البعض منا لا يرى ابعد من أرنبة انفه، ويعتقد أن الإسلام هو هذا الانكفاء والتوجس خيفة من الآخر والانكماش إلى الداخل وهذا أمر مستحيل وغير ممكن ومثل هذا النوع من البشر سوف يظل يعيش في عزلة فكرية وقد يأكل ويشرب ويركب سيارة مثلي مثلك لكنه أغلق (مخه) في عزلة فكرية وتعشعش عليه وفيه تصورات تجعله بعيداً عن الواقع وبالتالي ينشر فكراً يسيء إلى الإسلام قبل أن يسيء إلى أي جهة أخرى سواء كانت بلده أو أمته.

× عملت في الجامعة كأمين مجلس أعلى للجامعات ووكيلاً للوزارة.. هناك اتهامات للجامعات أنها فتحت أبوابها لأساتذة من خارج البلاد يحملون هذا الفكر وكأن الجامعات كانت في غفلة عنه.. ما هو تعليقك وأنت احد رجالات التعليم والمسؤولين والمعنيين بهذا الاتهام؟

– أولا أعود بك إلى بدايات حديثنا عن الطيبة وحسن النية التي ابديناها تجاه كل من يأتي سواء من الداخل أو الخارج.. هذا مبدأ أساسي لابد من التوقف عنده، نحن مسؤولون عن أي اختراق حدث في قضايا الفكر والإيدولوجيا الدينية في المملكة. فنحن مسؤولون عنه وليسوا هم، لقد جاءوا بأجداف وتطلعات وكانت النتيجة كما يرى بعضنا لما وصلنا إليه وما وصل إليه بعض شبابنا وكثيرا ما يوجه الاتهام إلى بعض الإسلاميين لأنه نتيجة للضغوط التي وقعت على بعضهم في بلدانهم، رحبت المملكة بهم وفتحت لهم صدرها ومكنتهم وأسرهم من التعليم ولم يكونوا فقط في التعليم العالي لكنهم كانوا أيضاً في التعليم العام.. طبعاً بعضهم أساء إلى كرم الضيافة وربما بدون قصد لكنني لا استطيع أن أوجه اتهامي بصفة أساسية أو رئيسية دون أن افصل وأوضح وأقول لماذا، وأعود لأقول مرة أخرى نحن المسؤولون وليسوا هم، لقد جاءوا وكان الواجب علينا أن نكون أكثر حرصاً في التعامل مع بعضهم التي اتضحت سماته الإيديولجية وندقق في تطلعاتهم، كنا في وضع نحسن الظن بالمسلم من أي جهة أتانا فما بالك بالمسلم الذي جاءك يطلب الإنقاذ والحماية من جبروت سلطته، قطعاً ستكون أكثر تعاطفاً وقدرة للاقتراب منه ونحن في خضم هذه العاطفة الجياشة تجاه هؤلاء أو تجاه بعضهم بالمعنى الدقيق نسينا أن ندقق ونبحث وان نرى الهدف من هذا كله وماذا يريدون فكانت الحالة مثلما ذكرت لكنني مرة أخرى لا أوجه الاتهامات للكل وإنما لبعض الأفراد الذين أساءوا إلى حسن الضيافة ولم يكونوا بالمستوى المطلوب لا إسلامياً ولا أخلاقياً ولاسلوكياً ولا مذهبياً.

اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 11-01-2009 رقم العـدد: 16699 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 73 رقم القصاصة: 3

حوار مكة حقق ما نتطلع إليه في الحوار الوطني

الباب ليس مشرعاً لمن يفتي وهو لا يرى أبعد من أرنبة أنفه

من أغلق (مخه) وعاش في عزلة فكرية ينشر فكرا يسيء للإسلام

× اود التوقف عند الصراع في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات، كان هناك صراع بين الحداثة والأصالة وكان قاسياً من بعض الجماعات المتدينة ووصل الأمر إلى المنابر والتشهير عبر أشرطة الكاسيت، ما موقفكم وأنت من المهتمين بهذا الخطاب الفكري والإسلامي وأيضاً تمثل الإنسان القادم من جامعات الغرب؟

- اعتقد أن الصراع بين الحداثة والدين والثنائيات هذه لم يكن في العام ٧٩ وبداية الثمانينات هذا له تاريخ طويل جداً ويرتبط بوجود الاستعمار في كل المنطقة لأن الاستعمار جاء بوجه آخر وبطريقة مختلفة وأسلوب مغاير واستطاع أن يغزو بعض الشعوب العربية فكريا بحيث يغير كثيراً من مقومات مجتمعاتها.

الحداثة كجوهر تعني بالنسبة لي التقدم والتطور والنهضة والانفتاح على الآخر والديمقراطية وحرية الفكر والرأي والتغيير والتعبير كل هذه المترادفات تعني (حداثة).

نحن لا نريد ان نتوقف عند مفاهيمهم هم للحداثة، بل نريد أن نتوقف عند فهمنا نحن للحداثة، أنا لست ضدها إذا كانت بالمفاهيم التي ذكرتها ولكنني ضد الحداثيين الذين يريدون أن يلووا الأعناق ويصرون على مواقفهم على حساب عقيدتنا ودينا، هنا لا بد أن نرفع الراية الحمراء، ونقول لهم: قفوا نحن أمة عربية مسلمة لدينا مقوماتنا وعقيدتنا ودينا الذي لا يمنعنا من الانفتاح على الآخر.. علينا أن نكون حداثيين بالمفهوم الذي ذكرته، والذي لا يتصادم مع ثوابت عقيدتنا، لا أن أكون حداثيا بالمعنى العلماني الذي يحض دور الدين في الحياة ويجعله مسجونا في المساجد فقط وألا يرتاد المسجد إلا يوم الجمعة كما يفعل الغربيون مع كنائسهم حيث يذهبون إليها يوم الأحد أما باقي الأسبوع فهي خاوية على عروشها، وبعض الحداثيين يريدون أن نكون مثل هؤلاء الغربيين في ممارسة حياتنا في عزلة عن هدى ديننا واعتقد أن هذا النهج يتحرك ضد التيار العام والمنطق والموضوعية.. أنت تتحدث عن حداثة بمفهوم الغرب.. إذن اذهب إلى الغرب وتحدث معهم عنها. لكنك إذا كنت تريد التحدث معي كشعب عربي مسلم في المملكة العربية السعودية أو غيرها من دول الأمة الإسلامية تحدث معي وفي داخل عقلك أنني رجل مؤمن بالإسلام كعقيدة حياة أؤمن بكل ما أتى به من مقومات وقيم ومبادئ وأخلاقيات ونظم وسلوك فإذا جاءت الحداثة أسقطتها على هذا المفهوم الإسلامي الشامل الواسع الذي يحتوي على التسامح وحرية الرأي والفكر والاعتدال والتعامل مع الآخر بعدل ومسؤولية حيث يتيح لي التحاور والاتفاق والاختلاف معه دونما ضغينة وبروح ديمقراطية نحترم حرية الفكر والرأي.. اسقط لي الحداثة على هذا المقياس فإذا تطابقت معه أقول لك: أهلا وسهلا بها.. لكن إذا "استوردتها" وهي "ملوية" بمقومات وقيم ومبادئ تعري مجتمعي وتسلخه من عقيدته ارفضها ولا أريدها ولن أتعامل معها وهذا موقفي الشخصي من الحداثة، وأحسب أنه موقف كل عاقل ملتزم بعقيدته.

لقد تطرقت لهذا الأمر في بعض مؤلفات دون ما أزعج أحدا أو أضايقه ولم أتخل عن ما أؤمن به.

× الحوار يعود مرة أخرى مع مصطلحات مثل العلمانيين والإسلاميين والليبراليين كيف ترى ذلك، وما هو موقفك؟

- الليبرالية معناها أن تكون أكثر حرية في الحركة "ليبرالي = حر" وهي مشتقة من كلمة "ليبرتي" الحرية وتعني بشمولها حرية في الحركة والتفكير واتخاذ المواقف، لقد طرح الفكر الليبرالي العربي المتأثر بالغرب نفسه نقيضا للدين والهوية القومية وهذه ربما نقطة افتراق مع هذا الفكر من باقي أطياف الفكر العربي المعاصر من

اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 11-01-2009 رقم العـدد: 16699 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 73 رقم القصاصة: 4

إسلامية وقومية.. إلخ، فالإسلاميون يرون أن الحرية موجودة ولكنها في مفهوم الإسلام يجب أن تكون مقيدة بقيوده أي بعقيدته ومقوماته ومن ذلك العدل فحرية بدون عدل تكون هراء ومسخ، وليس في الإسلام حرية مطلقة والتي تقود لمفسدة كما هو موجود عند بعض المفكرين الليبراليين.. أنا لا أتهم أحدا لكنني أوافق على الرأي أن مجتمعنا وللأسف الشديد بدأ ينقسم ما بين ليبرالي وإسلامي وهذا خطأ وخطر ولا أعتقد أن أي مواطن في المملكة لا يدين بالإسلام وعقيدته ولا يتخذه كمنهج ومعتقد للحياة وفي نفس الوقت يعمل ضد هذا، إذن في هذه الحالة تسقط المسميات لم يعد هناك ما يسمى ليبرالي أو علماني لأن الذي يقدم على مثله ويدحض عقيدته وأمته بمثل هذا الموقف ولا يعتقد بالإسلام كمنهج للحياة، مثل هذا الإنسان لا يهمنا. وأي تسمية تطلقها على هذا الشخص علمانيا أو ليبراليا ليست مشكلة بالنسبة لي لكنني اعتبره مناوئا للأمة ويعمل ضد عقيدتها.

× هناك من يرى وجود فئة ثالثة هي المعتدلة لكنها صامتة لماذا هذا الصمت؟

- لا أعتقد أنها صامتة لكنها تفكر بصمت وتراقب الموقف وتتمنى ألا يتطور الأمر، وأنا هنا أتحدث عن نفسي لأنني من تلك الفئة المعتدلة التي لا تميل إلى أي جهة ولكنها تميل لدينها وعقيدتها الإسلامية كعقيدة حياة بمعنى الكلمة في كل المعاملات والمواصفات التي ذكرتها من قبل واعتقد أن الفئة الثالثة تمثل الأغلبية الصامتة التي تراقب الموقف. ان ما حدث في بلادنا ونتيجة للحرية النسبية في الإعلام اليوم مكنت كل ذي رأي ليقول رأيه في حدود معينة وجعلت الأوراق تختلط وتداخلت الأمور والمفاهيم فكل يبدي ،وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك، كما يقول الشاعر. كل يدعي أنه يخدم الأمة والعقيدة الإسلامية ووطنه إن كان إسلاميا أو علمانيا أو ليبراليا. كل واحد منهم يدعي ذلك، لكن لا بد أن تضع هذه الأمور على الطاولة بالمفهوم العلمي الشفاف الموضوعي الصحيح وتفرز الأوراق بحيث لا تختلط ويبتعد عن الشبهات وسوء الظن في الآخر. نحن دائما نتحدث عن التحاور مع الآخر في الخارج لكننا يجب أن نتحدث مع الآخر هنا داخل مجتمعنا وهو الذي يقف موقفا فكريا مغايرا لموقف الآخرين دعونا نتفاهم ونتحاور وهذا هو الجوهر الرئيسي الذي يسعى إليه الحوار الوطني الذي بدأه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز "حفظه الله" منذ فترة وظلت أموره متشعبة ومتداخلة، ومن يتذكر حوار مكة على وجه الخصوص في الدورة الثانية كان حوارا يحقق ما نتطلع إليه لقد شارك فيه الصوفي والسلفي والليبرالي والعلماني والمعتدل كانوا كلهم موجودون على طاولة واحدة وتحاوروا وتصارعوا بالأفكار.. لذلك لا بد من استمرارية هذا النهج ونحن أكثر قدرة على ذلك ولا نريد أن تحدث تدخلات من الخارج ويجب أن يكون همنا القائم والعقيم في عقولنا وقلوبنا وأفكارنا، هو أين تقع مصلحة وطننا وأين وكيف تتعزز وحدته. نحن سدنة البيت ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجب علينا عدم نسيان ذلك، نحن شعب من شعوب الأمة الإسلامية أؤتمنت حكومته وشعبه على أقدس مقدسات الإسلام الكعبة بيت الله الحرام ومسجد رسول الله وقبره صلى الله عليه وسلم. إذن دعونا ننطلق من هذه الجزئية والخصوصية إذا جازت التسمية، أنا لا أؤمن بالخصوصية التي تستخدم كقميص عثمان لكي نعوق بها التطور والحداثة والتقدم. هذا غير وارد. وأنا لا أؤمن بالخصوصية إلا في مفهومها الذي ذكرته إذ لا يوجد بلد آخر لديه المسجد الحرام والكعبة أو فيه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا البلد إذن هذا الوطن مؤتمن على هذين الموقعين المقدسين لكل المسلمين، وهذه هي خصوصيته ويجب أن يكون شعبه الذي يشرف على خدمة هذين المكانين على مستوى هذه المسؤولية، سلوكا وتعاملا وأخلاقا، ليكن منا من يعتقد بأسلوب اخر للخدمة مختلف عما اعتقده والتنوع في خدمة الوطن دون التفريط في جوهره أمر محمود والاختلاف في الوصول إلى هدف معين بطرق مختلفة لا خلاف حوله وتصوري لهذا الأمر عبر إيراد مشهد من الحرم في حقبة ماضية.. كانت هناك مشايات حول الحرم في السقف المفتوح وكانت هناك ممرات تأخذك من أبواب الحرم المختلفة حيث لا يسير الناس على الحصى الذي كان يحيط بتلك المشايات (المسارات) وكل هذه الممرات توصلك للكعبة وللمطاف. وفي قناعتي أن واجبنا يجب أن يكون هكذا.. لكل منا ممر لكننا في النهاية يجب أن نصل إلى هدف واحد هو خدمة الأمة في ضوء العقيدة وهذا أمر مرحب به، وأي شيء آخر غير هذا يعني أن الأهداف مختلفة وكذلك الطرق.

اسم المصدر: المدينة المنورة

التاريـــخ: 11-01-2009 رقم العـدد: 16699 رقم الصفحة: 10 مسلسـل: 73 رقم القصاصة: 5

× دعنا نخرج عن النص قليلا.. أراك دائما تمثل بالكعبة وتتحدث عنها أود أن تضيء جانب حضور الكعبة الدائم في أحاديثك وتشبيهاتك لأن لدي سؤال آخر ذو صلة بالموضوع؟

- اعتقد أن تكراري لكلمة الكعبة والمسجد النبوي هو ما يحب أن يكون عليه كل عربي مسلم بل وكل سعودي لأنهما بالنسبة لي هما كياني ومرجعي فلماذا لا أتمثل بهما، ولماذا لا انطلق منهما ولماذا لا أعود إليهما في تشبيهي وتمثيلي وفي تحليلي للأمور، إذا لم افعل ذلك لست سعوديا بالمفهوم الذي افهمه لست عربيا ولست مسلما عندئذ أن تسمني بما شئت لكن مادمت تتكلم عن مواطن في المملكة فما هو العيب أن يتمثل بالكعبة ويضرب أمثلة بها هي ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

× هناك كتاب "وقفة أمام الكعبة" لفايز بدر "يرحمه الله" أثار إشكالية، ما هو رأيك حول ما ورد فيه؟

- الكتاب لم ينشر ومن ثم فلا ينبغي أن أتحدث عن أخي وصديقي وزميلي وخريج الفلاح مثلي فايز بدر عليه رحمة الله فهو بين أيادي ربه وهو رجل خدم الأمة والمملكة والدولة لسنوات طويلة وقد رأى البعض ممن اطلعوا على كتاب "وقفة أمام الكعبة" أن فيه بعض الشطحات التي لم يقروه عليها، وهذا يكفي فالرجل عند ربه الغفور الرحيم ونسأله أن يشمله بالعفو والرحمة والغفران.

- نحن مسؤولون عن أي اختراق حدث لقضايا الفكر والأيديولوجيا في المملكة
- أنا ضد الحداثيين الذين يلوون الأعناق.. ولا بد أن نرفع الراية الحمراء لهم
- الليبرالية طرحت نقيضاً للدين والهوية القومية وهذا ما تخالفه كل الأطياف
- بعض الذين استضافتهم المملكة أساء لكرم الضيافة
- لا أؤمن بخصوصية تستخدم قميص عثمان لإعاقة التطور
- لماذا لا أتمثّل بالكعبة .. وكتاب فايز بدر فيه شطحات